الجدار بين الإعلام والواقع السياسي

الدكتور عبد الستار قاسم

حظي الجدار الذي تبنيه إسرائيل بجهود إعلامية واسعة من قبل الفلسطينيين سواء على المستوى الرسمي أو غير الرسمي. ولا شك أن هذه قضية تستحق جهودا مكثفة من قبل كل من يستطيع لما يشكله الجدار من صعوبات ومشاكل جمة للشعب الفلسطيني على مختلف الصعد الاجتماعية والجغرافية والسكانية والنفسية والاقتصادية. القضية ما زالت تتفاعل وستأخذ المزيد من الأبعاد الدولية والمحلية مستقبلا.

في ورقتي هذه، أركز على نقطة واحدة وهي مسألة التناغم بين الإعلام والواقع السياسي والتي تجعل من المسألة الإعلامية ذات تأثير يؤدي إلى حصد نتائج إيجابية. المعنى أنه من المطلوب أن يكون هناك تناغم بين النشاط الإعلامي وذلك السياسي من أجل أن تثمر الجهود، وإلا فإن الإعلام يتحول إلى مجرد أداة لإيصال المعلومات وربما غير الصحيحة دون أن يكون له وقع يؤدي إلى تغيير الواقع أو، على الأقل، التأثير فيه. الإعلام بحاجة إلى من يحمل رسالته في الساحة السياسية إذا كان المقصود منه تحقيق شيء أكثر من مجرد تعريف الآخرين بالمشكلة.

الفرضية

الفرضية التي تستند عليها هذه الورقة هي أن المستوى السياسي وما يقوم به من نشاطات لا يتناسب مع البعد الإعلامي، وأن قدرة السياسي على قطف ثمار الإعلامي ضعيفة بحيث تتحول الجهود الإعلامية إلى مجرد مادة معرفية أو مجيرة لصالح السياسي.

تحاول الورقة أن تجيب عن التالي: ما هي قدرة المستوى السياسي على المستويين الشعبي والرسمي على ردع إسرائيل ومنعها من الاستمرار في البناء؟ وما هي قدرة هذا المستوى على حشد رأي عام عالمي يضغط على إسرائيل لثنيها عن الاستمرار؟ وهل هناك طاقة على حشد الأمم المتحدة للدفاع عن ميثاقها وعن القانون الدولي الذي تجسده؟ وهل هذا المستوى قادر حقيقة على إقناع العالم بأن الضرر الذي يلحق بالفلسطينيين يفوق في تقديره على مصالح الأمن الإسرائيلي؟ وهل نحن فعلا تناولنا الزوايا الصحيحة في الجدار لنبني عليها إعلامنا؟

محاور النقاش

يأخذ النقاش في هذه الورقة المحاور التالية: عنصرية الجدار ووظيفته الأمنية، البعد الدولي سواء على مستوى الأمم المتحدة أو المحكمة الدولية، التوجه نحو الولايات المتحدة، التوجه نحو العرب، البعد الإنساني، وعملية السلام.

الأمم المتحدة ومحكمة العدل

من المتوقع، بل من المهم الذهاب إلى الأمم المتحدة لطرح قضية الجدار من حيث أن الهيئة تشكل منبرا دوليا للتداول ولشرح المواقف والسياسات. ربما لا يكون هذا المنبر مفيدا ولا يلبي الطموحات، لكنه، على الأقل، غير ضار. وقد كان في قرار الجمعية العامة بإحالة القضية إلى محكمة العدل الدولية ما يفيد في السير في إجراءات قانونية دولية. لا شك أن لجوء السلطة الفلسطينية إلى محكمة العدل الدولية مفيد على المستوى العالمي من الزاويتين السياسية والقانونية.

إنه من المهم استنفار الأطر الدولية، والعودة إلى المواثيق الدولية من أجل مقارعة إسرائيل وسياساتها لما في ذلك من تدعيم للمطالب الفلسطينية وتعزيز للمواقف المطروحة حول أسس حل الصراع الدائر. لكن الفائدة المرجوة ستبقى على أغلب احتمال أدبية وقانونية مفتقـــــرة إلى القوة اللازمة للتطبيق. خلصت محكمة العدل الدولية إلى اعتبار الجدار غير شرعي من ناحية ما يسمى بالشرعية الدولية، لكنه رأي استشاري لا ينطوي، على الرغم من أهميته على خطوات تنفيذية يقوم بها مجلس الأمن أو أية جهة دولية مخولة. أي أن القرار سينضم إلى باقي القرارات الدولية الموضوعة على الرف.

استطاع المستوى السياسي الرسمي أن ينقل القضية إلى المحافل الدولية، لكن ماذا بعد؟ هل يصبح قرار محكمة العدل مزارا للعرب والفلسطينيين يتبركون بنصوصه أو أغنية جميلة نقول للعالم المؤيد لإسرائيل من خلالها أننا على حق وإسرائيل على باطل؟ أم سنبقى نعزف على وتر عنصرية الجدار ونردد أن هذا النهج لم يعد مقبولا في زمن الديمقراطية والانفتاح والتجارة الحرة؟ أم أننا سنبحث عن وسائل عملية وفعلية لمواجهة الجدار وآثاره وتحويله إلى مجرد حائط أصم لا يؤدي الأغراض المطلوبة منه؟ واضح أن المستوى السياسي لا يملك أدوات تقود على تنفيذ أي قرار قضائي يصدر لصالح الشعب الفلسطيني.

رافق الطرح الدولي بعد إعلامي واسع من الجانب الفلسطيني، وانبرت وسائل الإعلام العربية لتقديم الدعم. الجهود كانت مثمرة جدا على مستوى تعريف العالم في مواجهة الإعلام الصهيوني الذي انبرى يدافع عن إسرائيل ومصالحها الأمنية. ولا شك أن الإعلام استطاع أن يوصل رسالة بأن إسرائيل لا تدافع عن أمنها فحسب بهذا الجدار وإنما تعتدي على الفلسطينيين وتصادر أرضهم. لو كانت إسرائيل معنية بالأمن فقط لبنته على خط الهدنة لعام 1949.

عنصرية الجدار

يبدو أننا حاولنا الهروب من مستحقات هذا الجدار مسبقا عندما وصفناه بجدار الفصل العنصري. إنني من المدققين تماما في الجدار والمتابعين لتطورات بنائه منذ أن كان فكرة تنتظر التنفيذ، وأرى أنه بتفاصيله وشكله ومضمونه أمني بالأساس ويخدم أغراضا أمنية أولا مع عدم نفيي للأبعاد السياسية التي ينطوي عليها. وصف الجدار بالعنصري يتطلب مواجهة من نوع خاص تقوم على الدعاية العالمية واستنفار القوى الأخلاقية لدى الشعوب لصنع تيار عام عالمي ضده، وذلك على النمط الجنوب إفريقي. تتطلب هذه النظرة الكثير من السفر والظهور في المؤتمرات والمحافل الدولية والانتقال من وسيلة إعلام إلى أخرى، وصك التصريحات المتنوعة والشاجبة المستنكرة. أما وصفه بالأمني فيتطلب الكثير من السهر والتخطيط والتدبير من أجل التغلب عليه، ويتطلب ثمنا باهظا يدفعه الساهرون المخططون. ولهذا أعتقد أن الاستراتيجي الإسرائيلي مسرور للوصف الفلسطيني لأنه سيكلفه ثمنا قليلا جدا من الثمن الذي يمكن أن يكلفه إياه الوصف الذي ينظر إلى الجدار بمنظار توازن الرعب.

إسرائيل عبارة عن دولة عنصرية من أساسها، والفكر اليهودي هو فكر عنصري فوقي لا يحترم الأمم والشعوب، والصهيونية حركة تخلف وسوداوية تعمل على الهيمنة والسيطرة وحرمان الشعوب من حقوقها. هذا موضوع قد تم استنفاذه بحثا وأشبع كتابة وتحليلا، ويبقى الأمر الأكثر أهمية متعلقا بنا وبالخطوات التي يجب أن نتخذها من أجل مواجهة آثار هذه العنصرية التي تستفحل أخطارها عاما بعد عام، بل شهرا بعد شهر ويوما بعد يوم.

يرى الناظر إلى الجدار قوالب إسمنتية عالية في بعض المواقع، بينما يرى في مواقع أخرى أسلاكا شائكة وآلات تصوير وأسلاكا تنقل إشارات كهربية وإليكترونية. وعلى الجانبين يرى طرقا

تتلوى معه سامحة للسيارات العسكرية بالمرور والتفتيش. التجهيزات عسكرية أمنية، وكذلك مختلف أجزاء المشروع، وفي ذلك لا يختلف الجدار جوهرا ومضمونا عن الجدر الأمنية المقامة على خطوط وقف إطلاق النار مع البلدان العربية. المار بجنوب لبنان سيرى ذات التجهيزات وذات المضمون على الرغم من أنه يرى اختلافا جزئيا في التركيب. فهل لو أقامت إسرائيل الجدار على خط وقف إطلاق النار لعام 1948 لأصبح الجدار غير عنصري كما هو الوضع مع البلدان العربية الأخرى؟

معركة العنصرية هذه خاسرة على المستوى الدولي ولم تجد الصدى المطلوب إلا لدى المؤيدين التقليديين للفلسطينيين والذين لديهم موقف واضح من عنصرية الصهيونية. لم تبد هذه المسألة الإعلامية مقنعة للأسباب التالية:

1- هناك من تساءل عن توقيت بناء هذا الجدار إذا كانت المسألة عنصرية. لماذا، حسب تساؤلهم، لم تقم إسرائيل ببناء أقفاص تعزل داخلها الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة/ 1948؟ ولماذا لم تباشر ببناء جدار في الأرض المحتلة/ 67 مع بداية الاحتلال؟ ولماذا تعاملت مع الفلسطينيين بانفتاح من النواحي التجارية والاقتصادية، وسمحت للفلسطينيين بالتجوال في إسرائيل كما يشاؤون لغاية انطلاق العمل العسكري الفعال؟ ولماذا أزيحت صفة العنصرية عن الصهيونية في الأمم المتحدة؟ وإلى غير ذلك من الأسئلة.
2- هناك من يقول أن إسرائيل مستعدة لوقف البناء إذا توقف الفلسطينيون عن القيام بأعمال عسكرية ضد التجمعات السكانية اليهودية، ويضيفون بأنه لو كان عنصريا لما ارتبط بناؤه بهذا الشرط.
3- ينطوي هيكل الجدار على أبعاد أمنية، أما البعد العنصري فلا يتطلب كل هذه التعقيدات بالتجهيزات التقنية والفنية.

أعتقد أن هذه معركة إعلامية كانت خاسرة لأن المستوى السياسي لم يقدم المادة المقنعة الكافية للعالم من حولنا. حتى أن المقولة لم تكن مقنعة لعدد من الفلسطينيين. تجدر الإشارة هنا أن الذي حمل لواء هذا المسألة على المستوى السياسي هي في الغالب المؤسسات غير الحكومية بخاصة التي تتبنى الديمقراطية. ساعد المستوى الرسمي في هذا المجال، لكنه أيضا لم يكن مقنعا. ولهذا انزلق الإعلام في قضية لم يوفر لها المستوى السياسي أدوات كافية تضفي عليها المصداقية. وقد كان من الملاحظ أن الإعلام لم تتكون لديه تحليلاته الخاصة في هذا المجال، وإنما ترك نفسه طيعا للمستوى السياسي الذي خذله في النهاية.

البعد الأمني

لم يأخذ هذا البعد حقه في الإعلام لأن المستوى السياسي الرسمي حاول تجاهله لصالح فكرة العنصرية. كان من المفروض تناول هذا البعد من أجل تبيان الأبعاد الأمنية المترتبة وانعكاسها على كل من الأمن الفلسطيني والأمن الإسرائيلي. هذه قضية خطيرة جدا لأنها تمس الأمن الفلسطيني مباشرة وكان من المفروض أن تحظى بشرح إعلامي كبير وواسع، وأن يستعين الإعلام بخبراء في الأمن لنقل الصورة واضحة للشعب الفلسطيني.

أعتقد أنه تم تجاهل هذه المسألة إلى حد كبير لأسباب سياسية وأن الإعلام لم يكن أمينا أو مستقلا في نقل الصورة. وربما لو شرح الإعلام للناس العواقب الأمنية للجدار لتريثوا في التفكير بطرق وأساليب المواجهة الأمنية للسياسة الإسرائيلية. المستوى السياسي الرسمي غير معني بتثقيف

الناس أمنيا، ولا هو معني بأن يفكروا في كيفية الرد على التجاوزات الأمنية الإسرائيلية، فألحق الإعلام وارتضى الإعلاميون لأنفسهم هذا الدور الإلحاقي.
إسرائيل ستستمر في بناء الجدار على الرغم من إمكانية استجابتها للضغط الأمريكي الذي يطلب تعديل مسار الجدار وليس الإلغاء. وهذا ما يفرض نفسه على الفلسطينيين بحيث يتوجب عليهم الرد أمنيا على هذا التحدي الأمني الذي سيخل بتوازن الرعب الذي فرضته المقاومة الفلسطينية بوسائلها البدائية. هنا هو الخطر الحقيقي الذي يمثله الجدار. ستشعر إسرائيل إذا حقق الجدار الهدف المرجو منه أنها مطلقة اليد في الاعتداء على الفلسطينيين، وأنه لم يعد لدى الفلسطينيين قدرة على الرد والردع عندها سنعود إلى المربع الأول الذي يسمح بقتل الفلسطينيين وهدم بيوتهم وتشتيت شملهم بينما يعيش اليهود آمنين في تجمعاتهم السكانية.
صنعت هذه الانتفاضة توازنا رعبيا بين إسرائيل والفلسطينيين على الرغم من محدودية القدرات العسكرية الفلسطينية. بات يدرك اليهودي أنه لن يستطيع النوم بهدوء ما دام الفلسطيني لا يستطيع، وأن عليه أن يقدم شيئا حقيقيا إذا أراد أن ينعم بأمن. ولهذا هاجر العديد من اليهود ولحقت بالاقتصاد الإسرائيلي الخسائر وتوقف السائحون عن القدوم، وغير ذلك من الآثار التي شعرت إسرائيل بأنها تقوض أسس وجودها.
تصنع الجهات الإعلامية الفلسطينية المختلفة المعنية بالجدار خيرا مع الشعب الفلسطيني إذا تم تقييم الجدار ضمن فلسفة وأبعاد إقامته لأن في ذلك ما يضع مختلف الجهات الفلسطينية في الصورة تماما وينبه العقول على ما يجب عمله فلسطينيا للمواجهة. تصدير مسألة الجدار وما ينطوي عليه من أضرار مادية ومعنوية للشعب الفلسطيني إلى العالم خارج فلسطين لن يجدي الكثير من النفع. الرأي العام العالمي لا شك أنه مفيد، وكذلك مواقف الدول المختلفة، لكنه لم يغير من واقع الفلسطينيين ولا أظن أنه سيغير. معالجة الأمور تتم أولا على الساحة الداخلية ولا تهرب منذ البداية إلى العالم الآخر الذي لن يقدم أكثر من الإدانات وإبداء الشفقة وزيادة المساعدات التي قد يضيع أغلبها قبل أن تصل إلى المتضررين.

تغيير القرارات الإسرائيلية

تستمر إسرائيل ببناء الجدار الفاصل أو الواقي كما تسميه هي على الرغم من الضغوط الدولية المختلفة التي أتت استجابة للصيحات الفلسطينية والعربية. كالعادة، من الصعب جدا أن تستجيب إسرائيل لضغوط إلا إذا كان الأمر قيد المداولة هامشيا ولا تشكل الاستجابة تراجعا جوهريا. حتى أنه من الملاحظ أن إسرائيل تحاول بقدر الإمكان تجنب القيام بأعمال قد تدفعها الضغوط إلى التراجع عنها، وهي في العادة تقوم بالعمل وهي تقدر مسبقا ردود الفعل وتعي تماما فيما إذا كانت ستتراجع أم لا.
قد تتراجع حكومة عن أمر جوهري قامت بها حكومة سابقة، لكنه من الصعب ملاحظة تغيير أساسي في سياسة الحكومات المتعاقبة في قضايا حيوية بخاصة عندما يكون الأمر متعلقا بأمور أمنية. الليكود مثلا ينظر إلى اتفاقيات أوسلو بشك وريبة، لكنه لم يقم بإلغائها أو التراجع عنها بصيغة قانونية، وفضل التراجع بطريقة عملية، أي اتخاذ خطوات عسكرية واستيطانية وأمنية تجعل من اتفاق أوسلو مجرد وثيقة تجمع غبار الرفوف. لقد صرح شارون أن اتفاقيات أوسلو لم تعد قائمة لكن ذلك كان مجرد تصريح وليس قرارا له أبعاد قانونية.
المسألة تبقى خاضعة للعناد الإسرائيلي المتحجر أمام الضغوط بما فيها الأمريكية إذا كانت القضية متعلقة بالأمن. إسرائيل دولة قامت على الأمن وما زالت ترى في الأمن هاجسها الأكبر ذلك لأنه من المتوقع أن يهجرها عدد كبير من سكانها إذا ساءت الأحوال الأمنية. إسرائيل قادرة على

الدفاع عن نفسها، على الأقل في هذه المرحلة، لكن ذلك لا يعني ضمان الأمن. إنها تريد الاطمئنان أن أحدا لن ينظر إلى قبر يهودي بازدراء من أجل أن يطمئن سكانها أنهم آمنون، وهي بذلك مستعدة لتجاوز كل الخطوط التي يمكن أن يضعها المجتمع الدولي أو بعض الدول وتصر على إجراءاتها ضد الفلسطينيين والعرب.

ولهذا لن تتراجع إسرائيل عن إقامة الجدار الفاصل ولن توقف أعمال البناء خاصة إذا تبين أن الجدار قد خفف من نجاح محاولات الفلسطينيين التسلل إلى فلسطين المحتلة عام 1948 وقلل بالتالي من العمليات العسكرية التي تطال تجمعاتها السكانية. كما أرى الأمور، لم يؤد الجدار إلى منع العمليات الاستشهادية حتى الآن نهائيا لكنه قلل من عددها. لم تعد مسألة التسلل بذات السهولة التي كانت في السابق، وأصبح على الفدائي أن يخترق ويجتاز المزيد من العوائق الأمنية. هذا استنتاج يسنده تناقص عدد العمليات الاستشهادية على مدد من الزمن.

لماذا لا يتناول الإعلام هذه المسألة على الرغم من أهميتها الاستراتيجية الحاسمة بالنسبة للشعب الفلسطيني؟ هل وظيفة الإعلام هو نقل صور إلى العالم الخارجي فقط، أم نقلها أيضا إلى الداخل؟ ألا يتحمل مسؤولية الإعلام مسؤولية التثقيف الجماهيري؟ أم يريد أن يلعب لعبة السياسي الذي ينتقي المعلومات الخاصة بالجماهير انتقاء؟

التوجه نحو الولايات المتحدة

تم تكريس الكثير من التصريحات الإعلامية والمناشدات من قبل المؤسسة الرسمية الفلسطينية وغير الرسمية نحو الولايات المتحدة للقيام بعمل ما في مواجهة الاستمرار في بناء الجدار، ومن ثم إلى دفع إسرائيل إلى التوقف عن بنائه وإزالة ما تم بناؤه. كان هناك مطالبات إعلامية وفيرة من الجانب الفلسطيني ومسنودة من قبل المؤسسة الرسمية العربية لممارسة الضغط على إسرائيل، وتم التوجه إعلاميا إلى الرئيس الأمريكي مباشرة لاتخاذ موقف يرغم إسرائيل على تغيير سياستها بهذا الصدد. لكن ذلك لم يفلح، إلا ربما جزئيا في تغيير مسار الجدار قليلا. حتى أنه ليس من المؤكد أن الولايات المتحدة ضغطت لتعديل مسار الجدار بسبب المناشدات الفلسطينية والعربية، إذ ربما أنها استمعت لأصوات دولية أخرى وجدت في مسار الجدار ظلما مبالغا فيه يلحق بالمواطن الفلسطيني العادي.

المهم أننا توجهنا إعلاميا نحو الولايات مع العلم أنها علمت بالجدار وهو فكرة، ومن ثم وهو قيد الدرس والتخطيط، ومن ثم وهو في طور التنفيذ. بدأ تنفيذ البناء في نيسان/2002 تحت سمع وبصر العالم والولايات المتحدة. لقد أيدت أمريكا البناء لأنها اعتبرت وما زالت عملية بنائه خدمة للدفاع الإسرائيلي ضد الهجمات الاستشهادية الموصوفة أمريكيا بالإرهابية في داخل التجمعات السكانية اليهودية. أي أن الولايات المتحدة اعتبرت الجدار مسألة أمنية منذ اللحظة الأولى وتعاملت معه على أنه حيوي بالنسبة للأمن الإسرائيلي. عبر عن هذه القناعة الأمريكية عدد من المسؤولين الأمريكيين ومنهم وزير الخارجية الأمريكي باول.

كان من الأولى أن يوجه الإعلام جهوده نحو دور الولايات المتحدة في تشجيع إسرائيل على بناء الجدار أو صمتها عن ذلك أو تقديم الدعم. الولايات المتحدة ليست وسيطا، وقد أثبتت التجارب أنها شريك لإسرائيل وخير المدافعين عنها. هنا أخفق الإعلام أيضا. لا بد أن هناك أسبابا عدة لهذا الإخفاق، لكن المستوى السياسي الرسمي أوقع بالإعلام بسبب سياسته التقربية من الولايات المتحدة. المستوى السياسي يبحث عن استرضاء الإدارة الأمريكية واستجدائها ولديه الاستعداد لأن يكون غير صادق في مقاربته للقضايا التي تمسها، وبهذا يجر الإعلام والإعلاميين معه، ويجعل من المهمات الإعلامية في كثير من الأحيان مادة للسخرية والتندر.

تدمير عملية السلام

هدد مسؤولون في السلطة الفلسطينية عبر وسائل الإعلام بأنه من شأن الجدار أن يقضي على مسيرة السلام القائمة حاليا على اعتبار أنه لا يبقي أرضا للتفاوض عليها. وقد تم استخدام هذه المقاربة عسى فيها ما يضغط على العالم من أجل الضغط على إسرائيل لوقف البناء خوفا أو حرصا على عملية السلام.

ركب الإعلام هذه المقولة السياسية وأخذ يروج لها. عملية السلام تقوم أساسا على المرتكزات الأمنية الإسرائيلية وليس على المصالح الفلسطينية، أو البحث عن دولة فلسطينية. أمام الأمن الإسرائيلي كل شيء ينهار بما فيها عملية السلام. إذا كانت عملية السلام، حسب أمريكا وإسرائيل، تعني فتح ثغرة في الأمن الإسرائيلي فإنها تتحول إلى غير ذات قيمة. أي أن الذي يدمر عملية السلام ليس مصادرة الأراضي أو بناء المستوطنات، وإنما النفاذ إلى الأمن الإسرائيلي وعدم الوفاء بالالتزامات الأمنية تجاه إسرائيل.

فضلا عن أن السلطة الفلسطينية تلوح بالإعلام بتدمير عملية السلام، لكنها دائما أكلت تصريحاتها واستمرت تبحث عن مكان لها على طاولة المفاوضات. منذ إبعاد رجال حماس والجهاد عام 1992 والقيادة الفلسطينية تهدد بوقف التفاوض وتبكي على عملية السلام التي ستنهار، لكنها لم تأخذ أبدا موقفا متناسبا مع هذا الطرح الإعلامي. ولهذا لا يأخذ العالم التصريحات الفلسطينية على محمل الجد.

وقع الإعلام ضحية السياسي في هذا المجال. لم يطرح الإعلام ضلوع الولايات المتحدة في مسألة بناء الجدار، ولم يتكلم حول عدم مصداقية التصريحات الفلسطينية. وبالتالي لم يكن الإعلام الفلسطيني مقنعا ولم يكن قادرا على استقطاب المتعاطين معه.

وصف المأساة الإنسانية

أعتقد أن الإعلام الفلسطيني الرسمي وغير الرسمي قد نجح بوصف المأساة الإنسانية المترتبة على هذا الجدار من حيث فقدان بعض الناس للأرض التي هي مصدر رزق وللبيوت ولتشتيت بعض العائلات وعزل بعض التجمعات السكنية. لقد استطاع الفلسطينيون حشد العديد من وسائل الإعلام من أجل شرح هذا الوضع الإنساني الذي يدفع ثمنه الناس العاديون، وصدرت الكثير من التقارير الصحفية بهذا الشأن بالأخص على الصعيد العربي. وتم استقطاب دارسين وبحاثة ومتعاطفين أسهموا بلا شك في نقل الصورة بطريقة علمية إحصائية.

لقد قدم الفلسطينيون للعالم إحصاءات كثيرة حول الأضرار الاقتصادية والجغرافية والاجتماعية والسكانية والنفسية التي يسببها الجدار. وتم تركيز له ما يبرره على البعد الإنساني الذي انطوى على تشتيت عائلات أو حجزها في قفص الجدار. وتم إبراز معاناة الفلاحين في الذهاب والرواح، ومعاناة كبار السن وتلاميذ وتلميذات المدارس.

لكن وصول الرسالة يعاني من أمرين: أولا: محدودية القدرة الفلسطينية على إقناع الإعلام العالمي على بث تقارير مفصلة. وما أعنيه هنا بالإعلام العالمي هي تلك الشبكات التي تصل إلى المشاهد أو القارئ في البيوت مثل محطات التلفزة والجرائد والمجلات العالمية ذات النفوذ. ثانيا: عدم تأثير المأساة الفلسطينية الناجمة عن الجدار في العالم الخارجي بطريقة تتغلب على التأثيرات الأخرى مثل مقولة الأمن لإسرائيل.

على المستوى العالمي، ما زال هناك تركيز على ما يعانيه الإسرائيليون دون التركيز على ما يعانيه الفلسطينيون. الفلسطينيون والعرب لم يبنوا الشبكات الإعلامية الكافية والفعالة للوصول إلى قلوب الناس وعقولهم بخاصة في العالم الغربي. ولهذا فإن الشعور العالمي بالمأساة الإسرائيلية ما زال يتفوق على الشعور بالمأساة الفلسطينية. لكن السياسي الرسمي ما يزال يساهم بجلب الدعم للمأساة الإسرائيلية من خلال مواقف سياسية بكّاءة وانتهازية تهدف إلى استدرار عطف القوى الغربية علها تضغط على إسرائيل لتقديم شيء للفلسطينيين ينقذ شيئا من ماء الوجه. الإعلام الفلسطيني في الغالب تبعي وينهج ذات النهج الذي ثبت فشله على مدى السنين.

خلاصة

أخلص من الطرح أعلاه إلى التالي:

1- كان هناك تناغم بين الإعلام والسياسي فيما يتعلق بطرح قضية الجدار على الأمم المتحدة ولدى محكمة العدل الدولية، فكان الأداء جيدا؛

2- نجح الإعلام إجمالا في توصيف المأساة الإنسانية المترتبة على الجدار، وفي هذا توفر التناغم؛

3- وقع الإعلام فريسة أهواء السياسي في:

أ- توصيف الجدار بأنه عنصري فقط؛

ب- الابتعاد عن الأوصاف الأمنية للجدار؛

ت- إخفاء حقيقة الدور الأمريكي؛

ث- تجاهل عدم مصداقية تصريحات السلطة الفلسطينية.